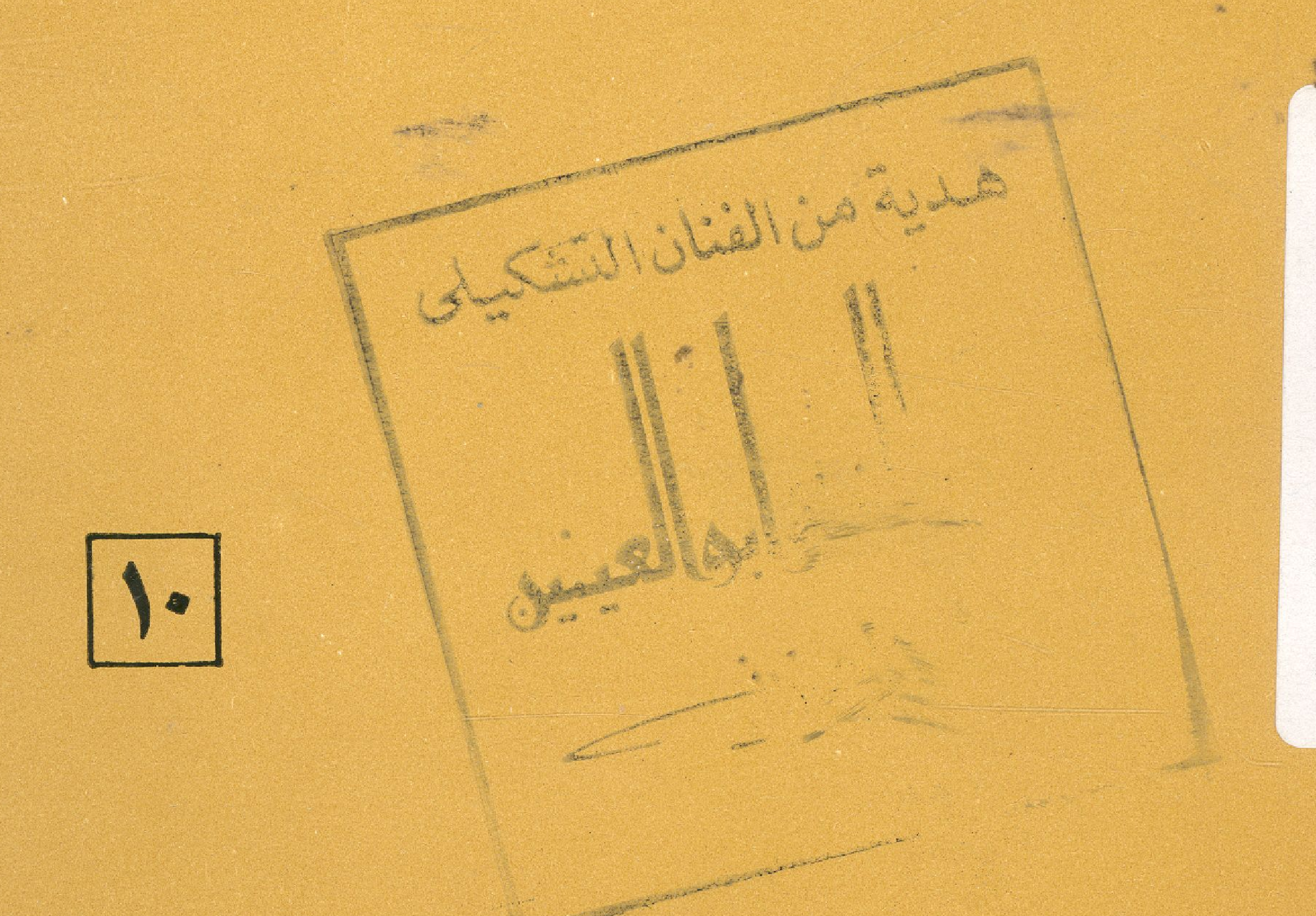
حول المقترحات الأمريكية

بصراحة ....

بقلم الأستاذ محمد حسنين هيكل

بجريدة الأهرام يوم ٣١ يوليو ١٩٧٠



الأجـــراس تـــدق!

٣١ يوليو ١٩٧٠

إذا لم أكن مخطئاً فى الحساب ، وإلى حد كبير ، فإن واجباً من أهم الواجبات الملقاة علينا هذه الأيام ، بل هذه الساعات ، هو أن لا يتحول نظرنا أو اهتمامنا ، عن جبهة الصراع المسلح مع العدو ولو حتى لطرفة عين .

إن العدو فى حالة نفسية خطرة ، معبأة بالمرارة ، مشحونة بالكراهية ، محاطة بالوحشة السوداء ، لأن العدو يستيقظ الآن من فترة طمأنينة طويلة – زينها له الصلف والغرور ، فنسى الحقائق الأساسية فى الصراع ، وبقى يذكر فقط أنه دخل فى الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ معركة ، استطاع فيها أن يحتكر لنفسه حرية الطلقة الأولى والطلقة الأخيرة .

* * *

ومن الخطأ أن نتصور أن اليقظة التى تهز العدو الآن من صنع ما يسمى بالمبادرة الأمريكية ، والصحيح أن هزة اليقظة

من صنع حقائق القوة ، التى كانت هذه المبادرة ــ بشكل من الأشكال ــ ظاهرة من ظواهرها .

والحقيقة أن هذه المبادرة تكاد تكون جرساً من أجراس عديدة دقت جميعها مرة واحدة، بل لعل هذه المبادرة كانت أضعف هذه الأجراس صوتاً ، ولعل قيمتها الوحيدة أنها كانت أقرب الأجراس إلى آذان إسرائيل، وبالتالى فإن صداها كان مباشراً ، قريباً إلى حد الالتصاق بالآذان .

وسوف تظهر بعد قليل خلال هذا الحديث ،حقائق القوة ، التى تولت دق الأجراس . . .

ولكنى أريد الوقوف لحظة أمام هذه اليقظة التى تعترى العدو بعد أن دقت الأجراس !

* * *

إن إسرائيل تواجه الآن أعقد موقف واجهته منذ أحداث الأسبوعين الأخيرين من مايو سنة ١٩٦٧ ، وهى الفترة التى شهدت فيها ما يكاد يكون انقلاباً عسكرياً كاملا سقطت فيه السلطة المدنية التى كانت تمثلها زعامة الحركة العمالية ، التى قادها حزب « الماباى » حتى ذلك الوقت ، واضطر « ليفى أشكول » رئيس الوزراء أيامها إلى الخضوع المطلق للمؤسسة العسكرية،

التى تحالفت مع غلاة المتطرفين من حزب جاحال، تحت قيادة الإرهابى القديم « مناحم بيجن » .

إن قصة هذين الأسبوعين، وبالذات وقائع يوم ٢٨ مايو والاجتماع العاصف بين ليفى أشكول وجنرالات الجيش الإسرائيلى فى قيادة الجيش الإسرائيلى — زاحال — لم تعد سراً خافياً .

لقد تسربت عن تلك الفترة تفاصيل كثيرة ، بل ظهرت كتب تحوى إشارات لا يمكن إغفالها عن أسرار ما حدث فى ذلك الموقف المعقد ، وربما كان أكثرها بياناً ، كتاب الصحفى الإسرائيلى « شلومو نيكدمون » الذى نشر بعنوان « قبل ساعة الصفر » .

فى هذا الكتاب ، وفى غيره ، تبرز ملامح الحوادث فى تلك الفترة كما يلى :

● قام خلاف كبير بين الحكومة والمؤسسة العسكرية ، حول الطريقة التى تتصرف بها إسرائيل : هل تضرب بسرعة ؟ أوهل تنتظر قليلا لتهيئ الجو السياسى اللازم لضربتها ؟

لم يكن الخلاف على الضربة . . . وإنما كان الخلاف على التوقيت .

المؤسسة العسكرية تطلب صدور أمر التحرك . . . بسرعة

والحكومة تطلب مهلة تتشاور فيها مع أمريكا ، وتضع خلالها للمعركة الحربية المقبلة ، أرضيتها السياسية الملائمة .

فى ذلك الجو ، ظهر « شيمون بيرس » ، أخلص أعوان « دافيد بن جوريون » ، وأصدق الأصدقاء فى نفس الوقت ، لنجوم المؤسسة العسكرية ، بحكم خدمته طويلا مديراً عاماً لوزارة الدفاع ، وظهر « شيمون بيرس » يدعو إلى قيام حكومة جديدة ، تضم جميع الأحزاب الإسرائيلية ، ويرأسها « دافيد بن جوريون » ، ويتولى وزارة الدفاع فيها « موشى ديان » ، وكان رأيه أن ذلك وحده يرضى المؤسسة العسكرية ويريح البلد .

واعتبر « ليفى أشكول » — عدو بن جوريون اللدود — أن هذه الدعوة موجهة إليه شخصياً خصوصاً وأنه كان وقتها رئيساً للوزراء ، ووزيراً للدفاع فى نفس الوقت .

ورأى « أشكول » بناء على نصائح بعض أصدقائه — ومنهم « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل الآن — أن يذهب إلى وزارة الدفاع ليمسك بالثور من قرونه ، كما يقولون ، ويجتمع بجنرالات المؤسسة العسكرية ، ويسمع منهم ، ويتحدث إليهم .

ودعا أشكول معه ، أقدم جنرالات إسرائيل ، ورئيس أركان حربها سنة ١٩٤٨ ، وهو الجنرال « ييجال يادين » ، وكان رأيه

أن « يادين » — إذا حضر الاجتماع معه سوف يكون بمثابة مانعة صواعق ، ولكن « يادين » اعتذر وقال :

« إن الخلاف بين قيادة الجيش والسلطة السياسية قد بلغ حده ، ولا فائدة من أية اجتماعات » .

وعندما دخل أشكول قاعة الاجتماعات فى قيادة « زاحال » كانت ثورة الجنرالات عليه عارمة .

ووقف مدير العمليات وقتها ، الجنرال « ايزرا وايزمان » ، يقول لرئيس الوزراء :

« إنكم غير قادرين على مواجهة الموقف ، وما لم نأخذ أمراً بالتحرك ، فإن علينا أن نتصرف كما نرى . . . وإذا منعنى أحد من التصرف ، فإنى على استعداد للتخلى عن كل رتبى ومناصبى العسكرية » .

ومد وايزمان يده فعلا إلى علامات الرتب على كتفه ، وإلى النياشين على صدره فخلعها ، ورمى بها على مائدة الاجتماع .

وكان وجه رئيس الوزراء ممتقعاً ، وفقد القدرة على الكلام لبعض الوقت ، وحاول أن يقول :

« إنى أريد أن أرتب الموقف مع واشنطن ، حتى لا نضطر

كما حدث سنة ١٩٥٦ ، إلى التخلى عن أى أرض تكون قواتكم قد تمكنت من احتلالها » .

ورد الجنرلات بأنهم لم يقتنعوا بأى شىء قاله لهم رئيس الوزراء ، وبأنهم يعرفون موقف أمريكا الحقيقى ، وأنهم على اتصال بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وبعناصر معينة فى مخابرات الجيش الأمريكى ، وأنهم واثقون . . .

ووصلت أنباء الخلاف بين المؤسسة العسكرية والحكومة إلى كل المحافل السياسية وإلى قيادات الوحدات ، وبدأ عدد كبير من أعضاء الكنيست (البرلمان) الإسرائيلى يتسابقون إلى الجرى على قيادة الجيش الإسرائيلى ، ينقلون إليها آخر الأخبار ، وينقلون عنها مطالبها .

وفى النهاية ، بعثت المؤسسة العسكرية بإنذار نهائى إلى « أشكول » ، حمله الجنرال « حاييم لا سكوف » ، وهو من رؤساء أركان الحرب السابقين ، ونقله إلى « شابيرو » وزير الداخلية فى وزارة « أشكول » وجاء فيه :

(قل « لأشكول » إن أقل ما نطالب به ، هو تعيين « ديان » وزيراً للدفاع ، وصدور أمر فورى بالتحرك ، وإلا فإن الموقف

سوف يصبح بالغ الخطورة ، ولا يستطيع أحد تحمل عواقبه) .

وذهب عدد من جنرالات الجيش بنفس الرسالة إلى عدد كبير من السياسيين وأعضاء الكنيست وأقطاب الأحزاب الإسرائيلية .

ويقول « شلومو نيكدمون » فى كتابه « قبل ساعة الصفر » :

« فى ذلك الوقت كان أشكول فى قمة الفضيحة . . . وكانت الحكومة فى هاوية الأزمة » .

وحدث ما كان لابد أن يحدث .

ودخل ديان وزارة الدفاع الإسرائيلية ، رغم أنف رئيس الحكومة ، وتشكلت وزارة ائتلاف ، وشارك فيها غلاة المتطرفين وفى مقدمتهم « مناحم بيجن» .

وصدر الأمر للجيش الإسرائيلى بالهجوم .

منذ ذلك الوقت ، لم تحدث تغييرات أساسية فى موقف إسرائيل ، كان الموقف مستقراً على قوى حاكمة .. وكانت هذه القوى بدورها مطمئنة إلى منطق سائد بينها :

● كانت القوى الحاكمة ، هى التحالف ما بين المؤسسة العسكرية ــ وجماعة بن جوريون ، أى شيمون بيرس وديان بالذات ،

امتداد طبيعى لها — وبين غلاة المتطرفين ، وفى مقدمتهم « مناحم بيجن » .

ولم يكن أمام رئيس الوزراء « أشكول » أو رئيسة الوزراء بعد ذلك — « جولدا مائير » — طريق للبقاء على قمة السلطة غير تبنى أكثر المواقف عنفاً ، وأشدها مغالاة وجموحاً .

وذلك أمر طبيعى فى أى ائتلاف لا يمكن فضه ، ذلك أنه يجد نفسه مضطراً ، لتبنى آراء أكثر أعضائه تطرفاً ، لأن تلك هى الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون التمزق والتفرق .

وكان هذا الحال موضع ملاحظة عدد من أصدقاء إسرائيل ، وحدث أن أحد السياسيين البارزين فى أوربا الغربية قال فى مناسبة من المناسبات لجولدا مائير رئيسة الوزراء :

« إنه إسرائيل ، بسبب التمسك بأكثر المواقف تطرفاً ، سوف تجد نفسها عاجزة عن الوصول إلى حل معقول . . . »

وقالت جولدا مائير :

« إذا لاحت فرصة لحل معقول فإنى على استعداد لفك الائتلاف القائم » .

وقال السياسى الأوربى الخبير لرئيسة وزراء إسرائيل :

« سيدتى ، هذا يتوقف على ميزان دقيق : هل أنت قائدة هذا الائتلاف أو أنك أسيرة له » .

وغضبت جولدا مائير للملاحظة !

● وكان المنطق السائد الذى تستند إليه القوى الحاكمة ثلاثى الاتجاهات :

● الاتجاه الأول : أن الوقت فى صالح إسرائيل ، وأنه ليس هناك ما تخشاه من مرور الأيام والشهور والسنين :

جيشها غالب . . . وقوته تزيد . . . وهو مسيطر على حدود طبيعية للأمن ، تتمثل فى قناة السويس على الجبهة المصرية ، ونهر الأردن على الجبهة الأردنية ، وهضبة الجولان على الجبهة السورية .

واستطاعت إسرائيل أن تقنع بهذا الاتجاه رئيسين فى الولايات المتحدة ، هما جونسون ونيكسون .

فى عهد جونسون ، بذلت إسرائيل كل مافى وسعها ، لإقناعه بترك مشكلة الشرق الأوسط فى مكانها ، دون أن يخشى من ذلك شيئاً .

وعندما بدأ نيكسون عهده باهتمام واضح بأزمة الشرق الأوسط

تمثل فى بعثة سكرانتون إلى القاهرة ، وبذلت إسرائيل كل مافى وسعها مرة أخرى لإقناعه بأن يدع الأزمة نائمة ، لأنه لا خطر هناك : « لا العرب المعادون لأمريكا قادرون . . . ولا العرب الموالون لأمريكا مستعدون » .

وسكت نيكسون عن أزمة الشرق الأوسط ، وغرق فى مستنقعات جنوب شرق آسيا .

وسقط قرار مجلس الأمن بذلك — هو الآخر — فى البحر الميت ، لأنه يتحدث عن مبدأ عدم جواز اكتساب الأراضى بالقوة ، ويتحدث عن الانسحاب ، ويتحدث عن حقوق شعب فلسطين . . . ولا يتحدث عن المفاوضات المباشرة .

. . . .

. . . .

كان هذا هو الاتجاه الأول فى المنطق السائد، الذى استندت عليه قوى التحالف الحاكمة فى إسرائيل .

● الاتجاه الثانى : أن العرب لن يستطيعوا بناء قوة عسكرية قادرة على التحدى الحقيقى ، وأنه حتى إذا نجحت مصر — بإمكانياتها الكبيرة — فى بناء جيش قوى ، فإن هذا الجيش

سوف يكون مضطراً إلى الحرب تحت أصعب الظروف ، لأنه سوف يحارب وحدهُ ، ولأن كل محاولات بناء الجبهة الشرقية سوف تتيه فى الرقعة المتسعة للمتناقضات بين الأوضاع العربية .

وحين بدأت مصر معارك المدافع ترد بها ، دهشت إسرائيل إلى حد ما ، لكن قوى التحالف الحاكمة فيها لم تستيقظ .

وحين بدأت عمليات العبور . . . حدث نفس الشىء .

وحين قامت مصر بتدمير خط بارليف . . . كانت الدهشة مرة أخرى . . . بلا يقظة .

حتى أعلنت مصر حرب الاستنزاف ، وأطلقت إسرائيل العنان لتفوقها الجوى .

ومدت خط جبهة القناة إلى طول شاطئ البحر الأحمر .

ونفذت إلى داخل مصر بغارات العمق .

وكان هدفها أن ترد على الاستنزاف ، باستنزاف مضاد ، أوسع منه وأكثر كلفة .

وفى ذلك الوقت لحظ بعض الناس فى إسرائيل أن صمود مصر غريب ، وأن محاولاتها الدفاعية لحماية جبهتها ، التى ستتولى الهجوم فى يوم من الأيام لا تتوقف ، وأن جهدها الاقتصادى يفوق ما كان متصوراً ، وأن قوة احتمالها النفسي لوطأة المعركة لافتة للنظر .

ولكن المؤسسة الحاكمة كانت بعد لا تريد أن ترى الضوء ، وقال ديان ، رداً على هؤلاء جميعاً :

– إن المصريين سوف يكتشفون فى وقت من الأوقات أنه لا فائدة . . . وكل ما علينا هو أن نشدد الضغط ... سوف نفرض عليهم المفاوضات المباشرة . . وسوف نفرض عليهم فيها خريطة جديدة . . . وعلاقات جديدة !

. . . .

. . . .

كان هذا هو الاتجاه الثانى فى المنطق السائد ، الذى استندت عليه قوى التحالف الحاكمة فى إسرائيل .

● وكان الاتجاه الثالث : هو أن الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يقوم بدور مؤثر فى الصراع ، لأن دور الولايات المتحدة سوف يلغى بالتوازن أى دور له .

وعززت إسرائيل هذا الاتجاه بنظرية روجت لها فى ذلك الوقت ، مؤداها أن الاتحاد السوفيتى ليس حريصاً على إنهاء الأزمة بسرعة ، لأن استمرار الأزمة يساعده على تدعيم نفوذه فى العالم العربى ، ووجدت إسرائيل كثيرين فى واشنطن على استعداد لابتلاع هذا الطعم .

وكان ذلك إغراقاً فى الوهم والنوم ، ظلت إسرائيل فيه متأخرة إلى وقت طويل من الصباح .

وبعد الزيارة السرية التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر لموسكو ، فى يناير الماضى ، وبعد أن تسربت أنباء هذه الزيارة إلى العالم ، وبعد أن وجه كوسيجين فى أعقابها رسالة إلى رؤساء الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، يقول فيها بالحرف :

« إن الاتحاد السوفيتى سوف يضع تحت تصرف العرب ما هو كفيل بطرد المعتدى الوقح » . . . »

. . . حتى بعد هذه الرسالة ، لم يستيقظ التحالف الحاكم فى إسرائيل .

حتى بعد هذا الموقف ، وحين كان أحد الأعضاء البارزين من أعضاء المؤسسة العسكرية فى إسرائيل يزور لندن ، ويلتقى فيها بأحد الوزراء البريطانيين . . . أمسك الوزير البريطانى بنسخة من رسالة « كوسيجين » وسأل الجنرال الإسرائيلى :

ـ ماذا يعنى هذا الكلام ؟! .

وقال الجنرال الإسرائيلى ، ببساطة ، وبسرعة :

« معناه أن السوفييت لم يجدوا وسيلة لمساعدة العرب ، فاكتفوا بكتابة خطابات !! »

وخلال الأسابيع التالية لذلك كان الاتحاد السوفييتي يساعد أصدقاءه العرب بأكثر من مجرد كتابة الخطابات . . . كان فعلا على حد تعبير كوسيجين « يضع تحت تصرف العرب ما هو كفيل بطرد المعتدى الوقح » .

واكتشفت إسرائيل يوم ١٨ أبريل الماضى أنها مرغمة على وقف غارات العمق ، بعد محاولة فاشلة فوق الفيوم .

وراحت إسرائيل ، بكل قواها ، تركز على الجبهة المصرية وتصب عليها قصارى ما تحصل عليه من طاقة الغضب .

وفى الأسبوع الأول من يوليو كانت إسرائيل تستيقظ .

كان هذا الأسبوع ، وفقاً لتعبير الجنرال حاييم بارليف ، هو « أسبوع التساقط السريع لطائرات الفانتوم فوق الجبهة المصرية » .

* * *

كانت واشنطن قد استيقظت قبل إسرائيل .

كانت واشنطن قد اكتشفت أن الصراع فى الشرق الأوسط وطنى ، وقومى ، ودولى كذلك .

ولقد تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تتغاضى عن

العامل الوطنى ، والعامل القومى ، لكن العامل الدولى لا يحتمل التغاضى .

إن المواجهة بين القوتين الأعظم مستحيلة .

لكن هذه الاستحالة لا تؤدى دورها إلا بمحاولات تجنب المواجهة .

كان ذلك هو درس حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، وكان ذلك هو درس أزمة الصواريخ فى كوبا سنة ١٩٦٢ ، وكان ذلك هو الدرس، الذى عبر عنه روبرت كيندى، شقيق الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى ، فى كتابه عن أزمة كوبا ، التى عاش دقائقها فى البيت الأبيض مستشاراً لشقيقه ، وكانت عبرة الدرس :

« لا يجب ترك المواجهة تتصاعد ميكانيكياً . . ابحث بسرعة عن باب مفتوح . . . إذا تركت خصمك وظهره إلى الحائط . . . إذن فالكارثة محققة » .

* * *

وفى ١٠ أبريل من هذه السنة وصل جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط إلى

القاهرة ، وطلب موعداً مع الرئيس جمال عبد الناصر وأجيب طلبه ، وقيل للرئيس جمال عبد الناصر يومها :

— إن الشارع العربى قد لا يرضى عن مقابلتك لسيسكو ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر : « إننى واثق فى الشارع العربى . . وأعرف أن الشارع العربى يثق بى . . إن الكل يعرف أننى سأقول لسيسكو فى مكتبى نفس ما كان يمكن للشارع العربى أن يقوله له ! » . .

* * *

وكان اجتماع عبد الناصر مع سيسكو حافلا .

قال سيسكو أثناء الحديث :

« إننا طلبنا عودة العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة ، وأنتم لم توافقوا ، مع أن الرئيس نيكسون هو الذى وجه هذا الطلب بنفسه إلى الدكتور محمود فوزى مساعدكم للشئون الخارجية ، حين التقى به فى واشنطن أثناء العزاء فى الجنرال أيزنهاور » .

وقال الرئيس عبد الناصر :

« لقد اعتذرنا ، لأننا لا نجد فائدة فى عودة العلاقات معكم ... سياستكم بالكامل كلها انحياز لإسرائيل » .

وقال سيسكو فى موضع آخر من الحديث :

« أليس من حقنا أن تتكلموا معنا ، وأن نسمع منكم مباشرة ؟
وقال الرئيس جمال عبد الناصر :
« لأننا فى الحقيقة لا نثق فيكم » .
وفى موضع آخر من الحديث قال سيسكو :
« إننا نريد منكم مرة أخرى وأخيرة أن تضعونا موضع الاختبار ... نحن على استعداد لاختبار جديد » .

* * *

وفى الأسبوع الأخير من شهر أبريل– وكانت إسرائيل قد اكتشفت أن غاراتها داخل العمق المصرى أصبحت مغامرة خطرة – بلغت الحملة أشدها فى العالم الغربى كله : ضد مصر ، وضد الاتحاد السوفييتى الذى يساعدها ويدعم قوتها. وكان هدف الحملة ، إلى جانب الكراهية ، الحصول على موافقة نيكسون النهائية على صفقة الطائرات الحربية لإسرائيل : ٢٥ فانتوم و ١٠٠ سكاى هوك .

وفى يوم أول مايو ، وجه الرئيس جمال عبد الناصر نداءه إلى الرئيس الأمريكى نيكسون ، وكان النداء من نقطتين :

- طلب إلى الرئيس الأمريكى بأن يأمر إسرائيل بالانسحاب.
- ثم طلب ثان يترتب عليه ، إذا تعذر عليه أن يأمرها

بالانسحاب ، وهو أن يوقف دعمها عسكرياً بينما هى تحتل الأراضى العربية ، استهتاراً بقرار مجلس الأمن .

كان نداء عبد الناصر لنيكسون– وفى ظروف الحملة الضارية ضد مصر والاتحاد السوفيتى ، وأمام احتمالات عقد صفقة الطائرات الجديدة – هو الإجابة على سيسكو ، عندما قال للرئيس :

« مرة أخرى وأخيرة ضعنا موضع الاختبار . . نحن على استعداد لاختبار جديد » .

* * *

وجاء رد نيكسون على شكل رسالة من وزير الخارجية الأمريكية ويليام روجرز ، إلى وزير الخارجية المصرية محمود رياض ، وكانت هذه الرسالة هى ما اصطلح على تسميتها بالمبادرة الأمريكية ، وكانت هذه المبادرة فى واقعها ، مبادرة إجراءات تستهدف بعث الحياة فى قرار مجلس الأمن وانتشاله من البحر الميت ، وتكليف « يارنج » بمهمة بحث « وضع التفاصيل لتنفيذه » كما ورد بالنص فى الرسالة .

وبحثت هذه الرسالة فى ليبيا وكان الرئيس جمال عبد الناصر فى زيارتها ، حينما تلقى وزير الخارجية المصرى رسالة روجرز .

وكان الرأى يتجه إلى قبولها من عده اعتبارات :

● تحريك أزمة الشرق الأوسط سياسياً ، إلى جانب الحركة العسكرية فيها .

● وضع النوايا الأمريكية – بعد اليقظة التى أحدثتها أبعاد الأزمة ، وطنياً ، وقومياً ، ودولياً – موضع الاختبار .

● ثم كان يساعد على ذلك أن المبادرة حددت نفسها فى إطار قرار مجلس الأمن ، وهو من وجهة النظر العربية يطالب بالانسحاب ويطالب بحقوق شعب فلسطين ولا يطالب بمفاوضات مباشرة مع إسرائيل .

واطلع عدد من رؤساء الوفود فى ليبيا فى ذلك الوقت على نص رسالة روجرز .

وفهموا ما يعنيه اتجاه مصر إلى قبولها كتحرك ، وكاختبار وكعامل مساعد . . .

* * *

وإلى جانب ذلك ، فقد كان هناك حساب آخر ، هو :

– ماذا ستفعل إسرائيل إزاء هذه المبادرة ؟ وكيف تتصرف قوى الائتلاف الحاكمة ، من المؤسسة العسكرية إلى مناحم بيجن

إلى العناصر السياسية التقليدية ، التي لم يعد بيدها من الأمر شيء إلا أن تتخذ أقصى المواقف تطرفاً .

هل تقبل بمبدأ الانسحاب ؟

هل تقبل بوقف إطلاق للنار مدته ٩٠ يوماً ، يحل محل وقف إطلاق للنار مطلق بغير حدود ، وفق قرار مجلس الأمن في ٨ يونية سنة ١٩٦٧ ؟

هل تقبل بالتخلى عن فكرة المفاوضات المباشرة مع العرب ؟

كان الحساب هو أنه في حالة رفض إسرائيل ، أو في حالة قبول إسرائيل ، فإن النتيجة سوف تجيء بتغييرات كبيرة ... ليست بالقطع ضد المطلب العربي . . . إذا لم تكن — وهذا احتمال — في صالح هذا المطلب .

* * *

وكنت ، إلى أيام قليلة ، أظن أن إسرائيل سوف ترفض ، لأن قوى الائتلاف الحاكمة فيها سوف تنقسم بالقبول .

لكنى أظن الآن — وأنا أكتب هذه السطور قبل إعلان رأى إسرائيل — أنها ستتظاهر بالقبول .

إن الموقف الطفولي الذى وقفته بعض الأطراف في العالم

العربى إزاء قبول مصر للمبادرة الأمريكية ، سوف يكون حجة فى يد البعض فى إسرائيل .

سوف يقولون لغيرهم :

« اصبروا قليلا . . . ودعونا نناور . . . قد ننجح نحن فى إحداث انقسام بينهم ، بعد أن كانوا يريدون إحداث انقسام بيننا » .

* * *

ويبقى سؤال حول هذه المبادرة ، وما يمكن أن تنتهى إليه :

— هل تنجح ؟

وردى على ذلك ، ولعلى لا أكون متشائمًا أكثر مما ينبغى ، هو :

— يصعب فى رأيى نجاحها .

لا شىء ينجح فى مثل هذا الصراع الذى نواجهه مع العدو غير « قوة الإرغام » .

والسؤال الحقيقى فى الموضوع ، هو :

— هل تنجح الولايات المتحدة فى « إرغام » إسرائيل ؟

والرد عليه :

« ذلك شىء بعيد ، لأسباب يطول شرحها » .

لكن هناك تكملة للرد يستوفى بها المنطق حقه ، وهى :

— إذا لم تنجح الولايات المتحدة ، فعلى الأقل ، نضع — نحن — أنفسنا دوليًّا وعسكريًّا فى ظروف تحقق لنا أفضل الإمكانيات ، لكى نفرض — نحن — هذا الإرغام !

* * *

ونعود أخيراً إلى حيث بدأنا :

— ما الذى يمكن أن تفعله إسرائيل الآن ؟

إنها كما قلت فى بداية هذا الحديث ، معبأة بالمرارة ، مشحونة بالكراهية ، محاطة بالوحشة السوداء .

مع مثل هذا الشعور ، وفى مثل هذا الجو ، فإن أبعد الأشياء عن الظن ، قد يكون أقربها إلى الوقوع ، كما يقول أندريه موروا .

أعنى أن إسرائيل قد تقوم بعمل مجنون .

ومن هنا — رجاء — دعونا لا نحول نظرنا أو اهتمامنا عن جبهة الصراع المسلح مع العدو ، ولو لطرفة عين !!

محمد حسنين هيكل